مهلاً !!. حاسدي الشيخ مهلاً!!.

كتبه:

أبو محمد السعدي

سعيد بن حسن الصوناليّ الإسحاقيّ

كان الله له في الدارين

****

بمراجعة شيخنا المفضال:

أبي عبد الله محمد بن عبد الله باجمّال

حفظه الله تعالى

****

قال الشاعر:

حَسَــــدُوا الفَتَـــى إِنْ لَـــمْ يَنَــــالُوا سَــعْيَهُ ... فَالنَّـــاسُ أَضْـــدَادٌ لَـــهُ وَخُصُـــومُ

وقال معن بن زائدة:

مـــا يُحْسَـــدُ المـــرءُ إلا مِـــنْ فضـــائلِهِ ... بـــالعلم والظـــرْفِ ، أو بالبَـــأسِ والجُـــودِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فإن من نعم الله علينا العظيمة المتتالية وآلائه الجسيمة المتتابعة: أن منّ علينا بالدعوة السلفية الحقة، والطريقة الأثرية المرضية، [وما بكم من نعمة فمن الله]، وكما هو معلوم فإن الإمام المجدد مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله رحمة الأبرار - أسس عرش الدعوة السلفية في هذا الزمان في بلاد اليمن الميمون – بفضل الله – وأرسى دعائمها، فانتشر التوحيد والسنة على يده في اليمن وخارجه انتشار الشمس في الأقطار، وقامت الدعوة على قدم وساق، حتى صارت الدعوة السلفية في البلاد اليمنية من أقوى الدعوات، ثم لما توفي رحمه الله استخلف تلميذه البار شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله ورعاه، فقام بالدعوة بعد شيخه خير قيام، فأخرج آلاف الأشرطة، ومئات الكتب والرسائل والمقالات التي سارت بها الركبان، حتى انتشرت الدعوة انتشاراً عظيماً في داخل اليمن وخارجه، وقد حوت دار الحديث بدماج بين لابتيها في الآونة الأخيرة أكثر من عشرة آلاف طالب، حتى أقظ ذلك مضاجع الكفار وأهل الأهواء والبدع فمكروا بها، وحسبوا لها ألف حساب، حتى قدّر الله إخراج شيخنا حفظه الله وطلابه من دارهم وديارهم مظلومين والله المستعان.

وقد مرت الدعوة السلفية في عهد شيخنا يحيى -أيده الله- بضروب من الفتن، وأطوار من المحن، بعضها من الخارج: (كفتنة الرافضة الزنادقة) في حربهم لأهل السنة في ثورتهم السادسة والحصار الأول والثاني، فتصدى لهم أبطال السنة والتوحيد – بفضل الله ومنته – وشيخنا حفظه الله كان بحمد الله وتوفيقه في كل هذه الحروب قائد الميدان، وسابق الرهان، ومبارز الشُجعان، لا تهزه رياح الفتن، ولا أمواج المحن.

وبعضها كان من الداخل (كفتنة المأربي) ثم (البكري) ثم (العدني) والتي هي أوسعها وأخبثها، حيث زج بنفسه فيها (الجابري) (والوصابي) (ومحمد الريمي) وأمثالهم الذين قطعوا شوطاً بعيداً في التميع والانحراف ولين العريكة السلفية، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا محامين عمن تلطخ بالفتنة والحزبية، فقووا من ساعد الفتنة، وأصلوا الأصول الفاسدة، وقعدوا القواعد الباطلة، شأن المبطل حين يدافع عن المبطلين، فكسرهم الله وفضحهم على يد شيخنا يحيى أعزه الله وطلابه الأبرار.

ثم اقتحم في نيران الفتنة وحملات البغي على الدعوة السلفية: (محمد المدخلي) (والبخاري) (وأحمد بازمول) (والعتيبي) [1] وأمثالهم من الحاقدين على الدعوة السلفية باليمن، فأطلق بعضهم -ولم ينكر الآخرون- على الإمام المجدد مقبل الوادعي

[1] وكان من آخر ضحايا هذه الفتنة العريضة: (الشيخ ربيع وفقه الله) حيث جند نفسه محامياً عن العدني وحزبه الفاجر، فألقى على شيخنا يحيى حفظه الله وعلى طلابه أحكاماً قاسية وكلمات عارية عن الدليل، بعيدة عن محض الصواب، وقد بيّن شيخنا يحيى أيده الله وطلابه خطأ الشيخ وفقه الله في هذه المسألة، نسأل الله أن يختم لنا وله بالحسنى. =

رحمه الله وعلى خليفته كلمات نابية وألفاظ سيئة وعبارات قبيحة كاذبة، فتصدى لبغيهم وعدوانهم شيخنا يحيى رعاه الله وطلابه، فبارت بضاعتهم المزجاة – بحمد الله –، فلم تجد قبولاً ولا رواجاً في محيط المنصفين، كيف لا وهي عارية عن الحقائق العلمية والبراهين السلفية.

فلما كان شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله رفيع المكانة صدراً في أولي العلم والديانة، متمتعاً بعلو الكعب وسمو الطبقة في معرفة الفتن وأهلها وكشفهم كما ذكرنا –ولا ندعي له العصمة – ، ومتحلياً أيضاً بالمكانة العلمية العالية، والمرتبة العلية الراقية، والجهود الدعوية الهائلة، اغتاظ أعداؤه وأصبحوا يختنقون بالغيظ ويموتون من كمد، لاسيما لما قام بتلك الرحلة المباركة إلى بلاد الحرمين وأدى هناك العمرة ثم التقى بكبار علماء المملكة، أظهروا دفين حقدهم، وكمين ضغنهم، وأبدوا ما كان مخبئاً في صدورهم، ومكنوناً في قلوبهم، فثارت نار الحسد واشتعلت في قلوبهم المريضة اشتعال النار في جزل الغضا، فلم يجدوا إلى إطفائها سبيلاً، سوى الصراخ والعويل بالبهت والتهويل – وهذا كما لا يخفى شأن العاجز عن

= **ومن العجائب والأوابد** أنه طُعن أئمة كبار من أجل هذا العدني ومن أجل النيل من أهل السنة:

- فقد تكلم الشيخ ربيع وفقه الله على الإمام هشام بن الغاز وضعف روايته بدون برهان ذباً عن العدني وحزبه الحقير!!!.
- وكذلك طعن الجابري عبيد ، أمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج ذباً عن العدني وحزبه الفاجر!!!.
- وكذلك طعن محمد الريمي في "إبانته" الإمامين أحمد وشعبة ورماهما بـ(التجاوز !! والتعصب الخفي!!!) [راجع تفصيل ذلك في "الرد على الطبعة الثانية من كتاب "الإبانة"] للشيخ المجاهد سعيد بن دعاس رحمه الله.
- وكذلك طعن في "إبانته" الإمامين أحمد بن حنبل وتلميذه المروذي حيث أورد قصة ضعيفة!!! فيها نسبة التثبت البدعي إليهما، وردهما نقل الإمام يحيى بن معين الذي اعتمد فيه على نقل بعض أصحابه من أهل الحديث .
- وكذلك طعن فيها الإمام يحيى بن معين حيث في تلك القصة نفسها نسبة عدم التثبت في بناء الأحكام إلى الإمام ابن معين!!! [انظر "مصباح الظلام"].

كل ذلك دفاعاً عن العدني وحطب فتنته!!! والله المستعان.

قال شيخنا العلامة المحدث يحيى بن علي الحجوري حفظه الله معلقا أثناء مراجعته لكتاب "مصباح الظلام":

(وابن معين رحمه الله مظلوم قد طُعن فيه بغير حق، إلا مجرد الدفاع بعرضِه عن عرض عبد الرحمن العدني؛ كما دافع عبيد الجابري بعرض شعبة بن الحجاج عن عرض العدني أيضا!!

فما هذه البلية [التي] أصيب بها الأئمة رحمهم الله وأصيبت بها أصول السلف منكم؛ بسبب هذا العدني؟!

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) شعبة وابن معين؟! أم ذلك الحزبي المهين؟! (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).اهـ كلامه بنصه حفظه الله.["مصباح الظلام" لأخينا الشيخ يوسف الجزائري].

برز الدليل والتدليل – ظانين أنهم بذلك يطفئون حريقه ويخمدون لهيبه ولكن! هيهات هيهات فإن هذا ليس طريق إخماده ولا سبيل إطفاءه والله المستعان.

فتارة يرمون بمنجنيق الحسد أنه يسب الصحابة!!! وطوراً يرمون بسهام الحسد أن عنده أصولاً فاسدة!!! وحيناً يفترون فيقولون (انتهى!!) مع الحزبيين!!! إلى غير ذلك من افتراءاتهم التي هي (بحر لا ساحل له)!!!، ظانين أنهم بهذه السفاهات والترهات سيسقطون شيخنا حفظه الله وسيتخلصون من دعوته السلفية النقية، ولكن هيهات هيهات!! فدون ذلك – بإذن المولى – خرط القتاد ورُكوب الصِّعاب، والضـرْب في وَعِر الوِهَاد والهِضَاب.

ولو كان هؤلاء المرضى صادقين في دعواهم هذه التي في قالب الغيرة على الدعوة السلفية لأنكروا مخالفات (العدني) و(الجابري) و(الوصابي) و(الريمي) التي سارت بها الركبان، وذاعت وانتشرت انتشار الشمس في الأقطار، ولكن – للأسف الشديد!!! – (يحلونهم فوق كيوان)!! و(ينوعون لهم أجناس الإحسان)!!!.

وأيضاً لو كانوا منصفين لساندوا في أقل حال من بيّنها وكشف عوارها، ولكن! يكيلون – لمن ليس لهم ذنب سوى بيان حال المبطلين والمخالفين وإنكار مخالفاتهم الواضحة للمنهج السلفي الصافي نصحاً لله ولرسوله وللمسلمين– يكيلون لهم مكاييل التهم، ويرمونهم بالجرائم والعظائم، ويفتحون لهم قواميس السباب والشتائم والرمي بالفواقر!!، ومع ذلك يدافعون عن المبتدعة والمبطلين بالأيدي والحوافر!!! فإلى الله المشتكى من حالهم وحال أمثالهم.

قال الشاعر:

وإذا رمتــــك مــــن الرجـــال قـــوارص فســــهام ذي القربــــى أشـــد وأجـــرح

وقال الآخر:

وظلْــم ذوي القربــى أشــد مضاضــة عــلى المــرْءِ مــن وقــع الحســامِ المهنَّــد

(وأيضًا لو كانوا من أهل الورع لكفوا على أدنى الأحوال ألسنتهم عن الولوغ فيمن أرشد ونصح، ووجه وأوضح)[٢].

****

[٢] ما بين القوسين زيادة من شيخنا المفضال محمد باجمال حفظه الله.

[حقيقة الحسد]

ويدور بغي هؤلاء على محور الحسد[٣] وما أدراك ما الحسد؟؟!!، تلك الخصلة الخبيثة!

هو أشد وبالاً عند اعتبار الأخلاق، ومن أهون الخصال عند تعداد الخصال، ومن توغل فيه فيُبشَّر بميراث الحزن والكمد، كيف لا وهو داعية إلى النكد، وهو كما قال الإمام السفاريني رحمه الله في "غذاء الألباب " (2 / 218):" مِنْ إسَاءَةِ الْأَدَبِ عَلَى غَايَةٍ، لِذَا قِيلَ شِعْرٌ:

أَلَا قُــلْ لِمَــنْ كَــانَ لِي حَاسِــدًا ... أَتَــدْرِي عَــلَى مَــنْ أَسَــأْت الْأَدَبْ

أَسَـــأْت عَـــلَى اللهَّ فِي حُكْمِــــهِ ... لِأَنَّـــك لَمْ تَـــرْضَ مَــا قَــدْ وَهَــبْ

فَجَــــازَاك رَبِّي بِـــــأَنْ زَادَنِي ... وَسَـــدَّ عَلَيْـــك وُجُــوهَ الطَّلَــبْ

".اهـ

وهو (خُلُقٌ ذَمِيمٌ مَعَ إضْرَارِهِ بِالْبَدَنِ وَفَسَادِهِ لِلدِّينِ، حَتَّى لَقَدْ أَمَرَ اللهَّ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذَا حَسَدَ} وَنَاهِيك بِحَالِ ذَلِكَ شَرًّا...وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَمِّ الْحَسَدِ إلَّا أَنَّهُ خُلُقٌ دَنِيءٌ يَتَوَجَّهُ نَحْوَ الْأَكْفَاءِ وَالْأَقَارِبِ، وَيَخْتَصُّ بِالْمُخَالِطِ وَالْمُصَاحِبِ، لَكَانَتْ النَّزَاهَةُ عَنْهُ كَرَمًا، وَالسَّلَامَةُ مِنْهُ مَغْنَمًا.

فَكَيْفَ وَهُوَ بِالنَّفْسِ مُضِرٌّ، وَعَلَى الْهَمِّ مُصِرٌّ، حَتَّى رُبَّمَا أَفْضَى بِصَاحِبِهِ إلَى التَّلَفِ مِنْ غَيْرِ نِكَايَةٍ فِي عَدُوٍّ وَلَا إضْرَارٍ بِمَحْسُودٍ).اهـ من "أدب الدنيا والدين"

والحسد أصله بغض المحسود كما قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "الفتاوى" (10/589).

وقال رحمه الله أيضاً كما في "مجموع الفتاوى" (10 / 111): (وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ الْحَسَدَ هُوَ الْبُغْضُ وَالْكَرَاهَةُ لِمَا يَرَاهُ مِنْ حُسْنِ حَالِ الْمَحْسُودِ).اهـ

وقال رحمه الله في "الاستقامة"(2 / 245): (ويوجب الحسد وهو كراهة ما اختص به الغير وتمني زواله).اهـ

---

[٣] قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "الفتاوى" (10 / 127):

(وَالْحَسَدُ يُوجِبُ الْبَغْيَ كَمَا أَخْبَرَ اللهَّ تَعَالَى عَمَّنْ قَبْلَنَا : أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَكُنْ اخْتِلَافُهُمْ لِعَدَمِ الْعِلْمِ بَلْ عَلِمُوا الْحَقَّ وَلَكِنْ بَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ كَمَا يَبْغِي الْحَاسِدُ عَلَى الْمَحْسُودِ) .اهـ

وقال رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى"(14 / 24): (وَ" الْحَسَدُ " أَيْضًا سَبَبُهُ عَدَمُ النِّعْمَةِ الَّتِي يَصِيرُ بِهَا مِثْلَ الْمَحْسُودِ أَوْ أَفْضَلَ مِنْهُ).اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد" (2 / 458): (وأصل الحسد هو بغض نعمة الله على المحسود وتمني زوالها... فالحاسد عدو النعم).اهـ

وقال الإمام الماوردي رحمه الله في "أدب الدنيا والدين": (وَحَقِيقَةُ الْحَسَدِ: شِدَّةُ الْأَسَى عَلَى الْخَيْرَاتِ تَكُونُ لِلنَّاسِ الْأَفَاضِلِ).

وقال الإمام النووي رحمه الله في "شرح مسلم"(18 / 96): (وأما الحسد فهو تمني زوال النعمة عن صاحبها).اهـ

وقال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري"(10 / 482): (الحسد تمني الشخص زوال النعمة عن مستحق له).اهـ

وقال الإمام السفاريني رحمه الله في "غذاء الألباب "(2 / 218): (وَالْحَاسِدُ عَدُوُّ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ يَطْلُبُ زَوَالَهَا مِمَّنْ نَالَهَا، وَهُوَ مِنْ إسَاءَةِ الْأَدَبِ عَلَى غَايَةٍ).اهـ

*****

[حكم الحسد]

إذا علمت حقيقة الحسد وكنهه فاعلم أنه حرام بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب: قوله تعالى في الأمر بالاستعاذة منه : (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) [الفلق : 5]

وقوله تعالى في ذم اليهود: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) [النساء : 54]

وقوله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة : 109] إلى غير ذلك من الآيات.

ومن الأحاديث: قوله صلى الله عليه وسلم: (لاَ تَحَاسَدُوا) متفق عليه عن أبي هريرة.

وقوله صلى الله عليه وسلم : (دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحابتم؟ أفشوا السلام بينكم) حسنه العلامة الألباني رحمه الله في "صحيح الجامع"(3361) إلى غير ذلك من الأحاديث.

أما الإجماع فقد قال الإمام ابن مفلح في "الآداب الشرعية"(1 / 131): (وبإجماع العلماء على تحريم الحسد).اهـ

وقال الإمام النووي رحمه الله في "شرح مسلم" (6 / 97): (فالحقيقي - أي الحسد الحقيقي - تمنى زوال النعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة).اهـ

******

[بيان مراتب الحسد وبيان أن الغبطة ليست منه]

ثم اعلم أن للحسد ثلاث مراتب ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد" (2 / 462) فقال: (وقيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك إخوة يوسف. لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك وهو لا يطيعها ولا يأتمر بها، بل يعصيها طاعة لله وخوفا وحياء منه وإجلالا له أن يكره نعمه على عباده، فيرى ذلك مخالفة لله وبغضا لما يحب الله، ومحبة لما يبغضه، فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك ويلزمها بالدعاء للمحسود وتمني زيادة الخير له، بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسد ورتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح فهذا الحسد المذموم هو كله حسد تمني الزوال.

وللحسد ثلاث مراتب أحدها هي هذه.

الثانية وهي: تمني استصحاب عدم النعمة فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله من جهله أو فقره أو ضعفه أو شتات قلبه عن الله أو قلة دينه، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب، فهذا حسد على شيء مقدر، والأول حسد على شيء محقق، وكلاهما حاسد عدو نعمة، وعدو عباده، وممقوت عند الله تعالى وعند الناس ولا يسود أبداً ولا يواسي، فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم.

فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبداً إلا قهراً، يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها، فهم يبغضونه وهو يبغضهم.

والحسد الثالث: حسد الغبطة وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه بل هذا قريب من المنافسة وقد قال تعالى [وفي ذلك فليتنافس المتنافسون]، (...) وفي الصحيح عن النبي أنه قال: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس) ، فهذا حسد غبطة الحامل لصاحبه عليه كبر نفسه وحب خصال الخير، والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم، وأن

يكون من سباقهم وعليتهم ومصلهم لا من فساكلهم، فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة الله عليه، فهذا لا يدخل في الآية بوجه ما).اهـ[٤]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (10 / 113): (فَهَذَا الْحَسَدُ الَّذِي نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ أُولَئِكَ الْغِبْطَةَ، وَهُوَ أَنْ يُحِبَّ مِثْلَ حَالِ الْغَيْرِ وَيَكْرَهَ أَنْ يُفَضَّلَ عَلَيْهِ. فَإِنْ قِيلَ: إذًا لِمَ سُمِّيَ حَسَدًا وَإِنَّمَا أَحَبَّ أَنْ يُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ؟. قِيلَ: مَبْدَأُ هَذَا الْحُبِّ هُوَ نَظَرُهُ إلَى إنْعَامِهِ عَلَى الْغَيْرِ وَكَرَاهَتُهُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ، وَلَوْلَا وُجُودُ ذَلِكَ الْغَيْرِ لَمْ يُحِبَّ ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ مَبْدَأُ ذَلِكَ كَرَاهَتَهُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ الْغَيْرُ كَانَ حَسَدًا؛ لِأَنَّهُ كَرَاهَةٌ تَتْبَعُهَا مَحَبَّةٌ، وَأَمَّا مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَعَ عَدَمِ الْتِفَاتِهِ إلَى أَحْوَالِ النَّاسِ فَهَذَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْ الْحَسَدِ شَيْءٌ. وَلِهَذَا يُبْتَلَى غَالِبُ النَّاسِ بِهَذَا الْقِسْمِ الثَّانِي وَقَدْ تُسَمَّى الْمُنَافَسَةَ، فَيَتَنَافَسُ الِاثْنَانِ فِي الْأَمْرِ الْمَحْبُوبِ الْمَطْلُوبِ كِلَاهُمَا يَطْلُبُ أَنْ يَأْخُذَهُ وَذَلِكَ لِكَرَاهِيَةِ أَحَدِهِمَا أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ الْآخَرُ كَمَا يَكْرَهُ الْمُسْتَبِقَانِ كُلٌّ مِنْهُمَا أَنْ يَسْبِقَهُ الْآخَرُ، وَالتَّنَافُسُ لَيْسَ مَذْمُومًا مُطْلَقًا، بَلْ هُوَ مَحْمُودٌ فِي الْخَيْرِ. قَالَ تَعَالَى: {إنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} فَأَمَرَ الْمُنَافِسَ أَنْ يُنَافِسَ فِي هَذَا النَّعِيمِ).اهـ

وقال الإمام الماوردي رحمه الله في "أدب الدنيا والدين": (وَهُوَ – أي الحسد – غَيْرُ الْمُنَافَسَةِ، وَرُبَّمَا غَلِطَ قَوْمٌ فَظَنُّوا أَنَّ الْمُنَافَسَةَ فِي الْخَيْرِ هِيَ الْحَسَدُ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنُّوا؛ لِأَنَّ الْمُنَافَسَةَ طَلَبُ التَّشَبُّهِ بِالْأَفَاضِلِ مِنْ غَيْرِ إدْخَالِ ضَرَرٍ عَلَيْهِمْ.

---

[٤] قال شيخنا المفضال محمد باجمال – حفظه الله – أثناء مراجعته للرسالة:(بقيت مرتبة رابعة وهي جائزة ودون الأولى: تمني ما عند الغير من زهرة الدنيا من غير تمني زوالها عنهم، كما في قصة قارون: [قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ]، ذكره الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" عند شرح حديث [لا تحاسدوا] فراجعه وراجع شرح النووي للأربعين إن شئت).اهـ

قلت : وكلام ابن رجب الذي أشار إليه شيخنا أبو عبد الله هو قوله رحمه الله: (وإن كانت دنيويه فلا خير في تمنيها كما قال تعالى [فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا] القصص ، وأما قوله عز وجل [وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ] النساء ، فقد فسر ذلك بالحسد وهو تمني الرجل نفس ما أعطي أخوه من أهل ومال وأن ينتقل ذلك إليه وفسر بتمني ما هو ممتنع شرعا أو قدرا كتمني النساء أن يكن رجالا أو يكون لهن مثل ما للرجال من الفضائل الدينية كالجهاد والدنيوية كالميراث والعقل والشهادة ونحو ذلك وقيل إن الآية تشمل ذلك كله).اهـ من ["جامع العلوم والحكم"].

وَالْحَسَدُ مَصْرُوفٌ إِلَى الضَّرَرِ؛ لِأَنَّ غَايَتَهُ أَنْ يَعْدَمَ الْأَفَاضِلُ فَضْلَهُمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِيرَ الْفَضْلُ لَهُ، فَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُنَافَسَةِ وَالْحَسَدِ

فَالْمُنَافَسَةُ إذًا فَضِيلَةٌ؛ لِأَنَّهَا دَاعِيَةٌ إلَى اكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ وَالِاقْتِدَاءِ بِأَخْيَارِ الْأَفَاضِلِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (الْمُؤْمِنُ يَغْبِطُ وَالْمُنَافِقُ يَحْسُدُ).[لم يوجد وإنما هو من كلام الفضيل "تذكرة الموضوعات" (1 / 14)].

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

نَافِسْ عَلَى الْخَيْرَاتِ أَهْلَ الْعُلَا ... فَإِنَّمَا الدُّنْيَا أَحَادِيثُ

كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ كَادِحٌ ... فَوَارِثٌ مِنْهُمْ وَمَوْرُوثُ

وقال الإمام النووي رحمه الله في "شرح مسلم"(6 / 97): (قال العلماء: الحسد قسمان: حقيقي ومجازي، فالحقيقي: تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة. وأما المجازي: فهو الغبطة، وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث: لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين).اهـ

****

[بعض أقوال العلماء والحكماء في الحسد]

ويحسن أن نذكر في هذا الموضع بعضَ أقوال العلماء والحكماء في الحسد،-(لعلها تشفي قلوب الحساد وتذكّر عليهم مغبّة الأحقاد)- وأقوالهم في هذا الباب كثيرة جداً، لكن نذكر قليلاً منها ليكون إشارة لما عداها:

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (10 / 133-134): (وَهَكَذَا مَرَضُ الْحَسَدِ وَغَيْرُهُ مِنْ أَمْرَاضِ النُّفُوسِ وَإِذَا كَانَتْ النَّفْسُ تَطْلُبُ مَا يُبْغِضُهُ اللهُ فَيَنْهَاهَا خَشْيَةً مِنْ اللهِ كَانَ مِمَّنْ دَخَلَ فِي قَوْلِهِ: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} فَالنَّفْسُ إذَا أَحَبَّتْ شَيْئًا سَعَتْ فِي حُصُولِهِ بِمَا يُمْكِنُ حَتَّى تَسْعَى فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ تَكُونُ كُلُّهَا مَقَامَاتٍ لِتِلْكَ الْغَايَةِ، فَمَنْ أَحَبَّ مَحَبَّةً مَذْمُومَةً أَوْ أَبْغَضَ بُغْضًا مَذْمُومًا وَفَعَلَ ذَلِكَ كَانَ آثِمًا، مِثْلَ: أَنْ يُبْغِضَ شَخْصًا لِحَسَدِهِ لَهُ فَيُؤْذِي مَنْ لَهُ بِهِ تَعَلُّقٌ إمَّا بِمَنْعِ حُقُوقِهِمْ؛ أَوْ بِعُدْوَانٍ عَلَيْهِمْ. أَوْ لِمَحَبَّةٍ مجموع لَهُ لِهَوَاهُ مَعَهُ فَيَفْعَلُ لِأَجْلِهِ مَا هُوَ مُحَرَّمٌ، أَوْ مَا

هُوَ مَأْمُورٌ بِهِ للهِ فَيَفْعَلُهُ لِأَجْلِ هَوَاهُ لَا للهِ، وَهَذِهِ أَمْرَاضٌ كَثِيرَةٌ فِي النُّفُوسِ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يُبْغِضُ شَيْئًا فَيُبْغِضُ لِأَجْلِهِ أُمُورًا كَثِيرَةً بِمُجَرَّدِ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ. وَكَذَلِكَ يُحِبُّ شَيْئًا فَيُحِبُّ لِأَجْلِهِ أُمُورًا كَثِيرَةً؛ لِأَجْلِ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ كَمَا قَالَ شَاعِرُهُمْ :

أُحِبُّ لِحُبِّهَا السُّودَانَ حَتَّى ... أُحِبُّ لِحُبِّهَا سُودَ الْكِلَابِ

فَقَدْ أَحَبَّ سَوْدَاءَ ؛ فَأَحَبَّ جِنْسَ السَّوَادِ حَتَّى فِي الْكِلَابِ، وَهَذَا كُلُّهُ مَرَضٌ فِي الْقَلْبِ فِي تَصَوُّرِهِ وَإِرَادَتِهِ.

فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيَ قُلُوبَنَا مِنْ كُلِّ دَاءٍ؛ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ).اهـ

وقال رحمه الله كما في " الفتاوى" (28 / 143): (وَمِنْ شَأْنِ النُّفُوسِ أَنَّهَا لَا تُحِبُّ اخْتِصَاصَ غَيْرِهَا بِهَا؛ لَكِنْ تُرِيدُ أَنْ يَحْصُلَ لَهَا مَا حَصَلَ لَهُ وَهَذَا هُوَ الْغِبْطَةُ الَّتِي هِيَ أَدْنَى نَوْعَيْ الْحَسَدِ. فَهِيَ تُرِيدُ الِاسْتِعْلَاءَ عَلَى الْغَيْرِ وَالِاسْتِئْثَارَ دُونَهُ؛ أَوْ تَحْسُدُهُ وَتَتَمَنَّى زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْهُ وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ؛ فَفِيهَا مِنْ إرَادَةِ الْعُلُوِّ وَالْفَسَادِ وَالِاسْتِكْبَارِ وَالْحَسَدِ مَا مُقْتَضَاهُ أَنَّهَا تَخْتَصُّ عَنْ غَيْرِهَا بِالشَّهَوَاتِ؛ فَكَيْفَ إذَا رَأَتْ الْغَيْرَ قَدْ اسْتَأْثَرَ عَلَيْهَا بِذَلِكَ؟ فَالْمُعْتَدِلُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الَّذِي يُحِبُّ الِاشْتِرَاكَ والتساوي وَاخْتَصَّ بِهَا دُونَهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَظَلُومٌ حَسُود).اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "الفوائد": (فإن الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله؛ فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله وأحب زوالها عنه والله يكره ذلك، فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكراهته، ولذلك كان إبليس عدوه حقيقة؛ لأن ذنبه كان عن كبر وحسد، فقلع هاتين الصفتين بمعرفة الله وتوحيده والرضا به وعنه والإنابة إليه، وقلع الغضب بمعرفة النفس وأنها لا تستحق أن يغضب لها وينتقم لها، فإن ذلك إيثار لها بالرضا والغضب على خالقها وفاطرها، وأعظم ما تدفع به هذه الآفة أن يعودها أن تغضب له سبحانه وترضى له، فكلما دخلها شيء من الغضب والرضا له خرج منها مقابله من الغضب والرضا لها وكذا بالعكس).اهـ

وقال رحمه الله في "بدائع الفوائد"(2 / 460): (وقوله: [وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ] يعم الحاسد من الجن والإنس، فإن الشيطان وحزبه يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله تعالى من فضله كما حسد إبليس أبانا آدم وهو عدو لذريته كما قال تعالى: [إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا].

ولكن الوسواس أخص بشياطين الجن، والحسد أخص بشياطين الإنس، والوسواس يعمهما كما سيأتي بيانهما، والحسد يعمهما أيضًا فكلا الشيطانين حاسد موسوس.

فالاستعاذة من شر الحاسد تتناولهما جميعا، فقد اشتملت السورة على الاستعاذة من كل شر في العالم، وتضمنت شرورا أربعة يستعاذ منها: شرا عاما وهو شر ما خلق، وشر الغاسق إذا وقب، فهذا نوعان).اهـ

وقال الإمام النووي رحمه الله في "التبيان في آداب حملة القرآن": (من آداب المعلم:... ولا يحسد أحدا منه لبراعة تظهر منه، ولا يستكثر فيه ما أنعم الله به عليه، فإن الحسد للأجانب حرام شديد التحريم، فكيف للمتعلم الذي هو بمنزلة الولد، ويعود من فضيلته إلى معلمه في الآخرة الثواب الجزيل، وفي الدنيا الثناء الجميل، والله الموفق).اهـ

وقال الإمام ابن عقيل رحمه الله في "الفنون" كما في "الآداب الشرعية" (1 / 132): (افتقدت الأخلاق فإذا أشدها وبالا على صاحبها الحسد، فإنه التأذي بما يتجدد من نعمة الله، فكلما تلذذ المحسود بنعم الله تعالى تأذى الحاسد وتنغص، فهو ضد لفعل الله تعالى، ساخط بما قسمه، متمنٍّ زوال ما منحه خلقه، فمتى يطيب بهذا عيش، ونعم تنثال انثيالا وهذا المدبر لا يزال بأفعال الله متسخطا، وما زال أرحم الناس للنظر في عواقبهم ولو لم يكن إلا النزع وحشرجة الروح، فكيف بمقدمات الموت من البلى والضنى؟! فمن شهد هذا فيهم كيف يحسدهم والله سبحانه أعلم).اهـ

وقال أيضاً رحمه الله في «الفنون» كما في "المستدرك على مجموع الفتاوى"(1 / 155): (اعتبرت الأخلاق فإذا أشدها وبالاً «الحسد»).اهـ

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله كما في "المصدر السابق": (الإنسان مجبول على حب الترفع على جنسه؛ وإنما يتوجه الذم إلى من عمل بمقتضى التسخط على القدر، أو ينتصب لذم المحسود، قال: وينبغي أن يكره ذلك من نفسه).اهـ

وقال الإمام ابن حبان رحمه الله في "روضة العقلاء"(1 / 133): (الواجب على العاقل مجانبة الحسد على الأحوال كلها، فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم، والحاسد لا تهدأ روحه، ولا يستريح بدنه، إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه، وهيهات أن يساعد القضاء ما للحساد في الأحشاء).اهـ

وقال رحمه الله في "المصدر السابق" (1 / 137): (بئس الشعار للمرء الحسد؛ لأنه يورث الكمد ويورث الحزن، وهو داء لا شفاء له، والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بهت، وإن رأى به عثرة شمت، ودليل ما في قلبه كمين على وجهه مبين، وما رأيت حاسداً سالم أحداً.

والحسد داعية إلى النكد، ألا ترى إبليس حسد آدم فكان حسده نكدا على نفسه فصار لعينا بعدما كان مكينـا، ويسـهل عـلى المرء ترضي كل ساخط في الدنيا حتى يرضى إلا الحسود فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد من أجلها).اهـ

وقال الإمام ابن مفلح رحمه الله في "الآداب الشرعية" (1 / 381): (إن من صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة).اهـ

وقال الإمام أبو إسحاق القيرواني في "زهر الآداب وثمر الألباب" (1 / 193): (ومن كلام ابن المقفع: الحاسِدُ لا يزالُ زارياً على نعمة اللهّ ولا يَجِدُ لها مَزَالاً، ومكدَراً على نفسه ما به من النعمة فلا تَجِدُ لها طَعْماً، ولا يزالُ ساخطاً على مَنْ لا يترضَاه، ومتسخِّطاً لما لا ينال، فهو كَظُوم هَلُوع جَزُوع، ظالم أشْبه شيء بمظلوم، محروم الطلِبَة، منغَّص العيشة، دائم التسخّط، لا بما قُسِمَ له يَقْنَع، ولا على ما لم يُقْسَم له يغلب، والمحسودُ يتقلّب في فَضْلِ نعم اللهّ مباشراً المسرور، ممْهَلاً فيه إلى مُدَةٍ لا يقدر الناسُ لها على قطْعٍ ولا انتقاص، ولو صبر الحاسِدُ على ما به لكان خيراً له؛ لأنه كلما أراد أن يُطفِئَ نورَ اللهّ أعْلاَهُ، وَيأْبى اللهُ إلاَ أن يُتِمَ نورَه ولو كَرِه الكافرون).اهـ

ومن منثور الحكم:

ما قاله الإمام الماوردي في "أدب الدنيا والدين" : (قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ، يَعْنِي: حَسَدَ إبْلِيسَ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، يَعْنِي: حَسَدَ ابْنِ آدَمَ لِأَخِيهِ حَتَّى قَتَلَهُ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَسْخَطْهُ أَحَدٌ، وَمَنْ قَنَعَ بِعَطَائِهِ لَمْ يَدْخُلْهُ حَسَدٌ.

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: النَّاسُ حَاسِدٌ وَمَحْسُودٌ، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ حَسُودٌ.

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنْ الْحَسُودِ، نَفَسٌ دَائِمٌ، وَهَمٌّ لَازِمٌ، وَقَلْبٌ هَائِمٌ).اهـ

وقال رحمه الله في "المصدر السابق":

(قَالَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْسَ فِي خِصَالِ الشَّرِّ أَعْدَلُ مِنْ الْحَسَدِ، يَقْتُلُ الْحَاسِدَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلَى الْمَحْسُودِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: يَكْفِيك مِنْ الْحَاسِدِ أَنَّهُ يَغْتَمُّ فِي وَقْتِ سُرُورِك.

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: عُقُوبَةُ الْحَاسِدِ مِنْ نَفْسِهِ.

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ: مَا أَطْوَلَ عُمُرَك؟ قَالَ: تَرَكْتُ الْحَسَدَ فَبَقِيتُ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِشُرَيْحٍ الْقَاضِي: إنِّي لَأَحْسُدُك عَلَى مَا أَرَى مِنْ صَبْرِك عَلَى الْخُصُومِ، وَوُقُوفِك عَلَى غَامِضِ الْحُكْمِ.

فَقَالَ: مَا نَفَعَكَ اللهُ بِذَلِكَ وَلَا ضَرَّنِي).اهـ

وقال بعض الحكماء كما في "روضة العقلاء" (1 / 138): (ألزم الناس للكآبة أربعة: رجل حديد، ورجل حسود، وخليط للأدباء وهو غير أديب، وحكيم محتقر للأقوام. وأبعد الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله: جاهل ورث الضلالة عن أهله، ورأس أهل ملته حظي فيهم بفضل الضلالة، ومعظم للدنيا يرى بهجتها دائمة محبوبه، ويرى ما رجى من خيرها قريباً، وما صرف من شرها بعيداً، ليس يعقد قلبه على الإيمان. ورجل خالط النساك فانصرف عنهم لحرصه وشرهه، وداجهم على مكر وخديعة).اهـ

وفي "المصدر السابق" (1 / 133): (الحسد من أخلاق اللئام، وتركه من أفعال الكرام، ولكل حريق مطفئ، ونار الحسد لا تطفأ.

ومن الحسد يتولد الحقد، والحقد أصل الشر، ومن أضمر الشر في قلبه أنبت له نباتا مرا مذاقه، نماؤه الغيظ، وثمرته الندم.

والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره وحلولها فيه، فأما من رأى الخير في أخيه وتمنى التوفيق لمثله أو الظفر بحاله وهو غير مريد لزوال ما فيه أخوه فليس هذا بالحسد الذي ذم ونهي عنه.

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عظمت نعمة الله عليه، فكلما أتحفه الله بترداد النعم ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم).

وقيل كما في "لباب الآداب" (1 / 72): (دَبت عقارِبُ الحسَدَة، وكمنت أفاعِيهم بكل مَرْصَدٍ. فلان مَعْجُون من طِينَةِ الحسد والمُنَافَسَة، مضروبٌ في قالب الضَيق والمناقشة. قد وكلَ بي لَحَظاً ينتضِلُ بأَسهُمِ الحسد. فلان جَسدٌ كلُه حسد، وعقد كلُه حِقْد. الحاسدُ يَعمَى عن محاسن الصُبح، بعين تُدْرِكُ حقائقَ القُبْحِ).اهـ

وقيل كما في "المصدر السابق" (1 / 72): (الحَسود لا يَسود، الحَسَد آفة الجسد).اهـ

ويقال: الحسد يذيب الجسد، ويطيل النكد والكمد.

ويقال أيضاً: الحسد آفة الدين، وداعية النكد، ومطية التعب.

ومن جيد الأشعار في الحسد:

قول الشاعر:

تجانــــب الحـــــرص ودع عنـــــك الحســـــد ففـــــيهما الـــــذل وإتعـــــاب الجســـــد

وقول الآخر:

عـــين الحســـود عليـــك الـــدهر حارســـه تبـــدى مســـاويك والإحســـان يخفيهـــا
فاحـــذر حراســـتها واحـــذر تكشـــفها وكـــن عـــلى قـــدر مـــا توليـــك توليهـــا

وقول الآخر- وينسب إلى ابن المبارك -:

كـــل العـــداوة قـــد ترجـــى إماتتهـــا إلا عـــداوة مـــن عـــاداك مـــن حســـد
فـــإن في القلـــب منهـــا عقـــدة عقـــدت ولـــيس يفتحهـــا راق إلى الأبـــد
إلا الإلـــه فـــإن يـــرحم تحـــلّ بـــه وإن أبـــاه فـــلا ترجـــوه مـــن أحـــد

والقائل:

حســـدوا النعمـــة لمـــا ظهـــرت فرموهـــا بأباطيـــل الكلـــم
وإذا مـــا الله أبـــدى نعمـــة لم يضـــرها قـــول حســـاد الـــنعم

والقائل:

لـــيس للحاســـد إلا مـــا حســـد ولـــه البغضـــاء مـــن كـــل أحـــد
وأرى الوحـــدة خـــيرا للفتـــى مـــن جلـــيس الســـوء فـــانهض إن قعـــد

والقائل:

وَإِذَا أَرَادَ اللهُّ نَـــشْرَ فَضِـــيلَةٍ طُوِيَـــتْ أَتَـــاحَ لَهَـــا لِسَـــانَ حَسُـــودِ
لَـــوْلَا اشْـــتِعَالُ النَّـــارِ فِـــيمَا جَـــاوَرَتْ مَـــا كَـــانَ يُعْـــرَفُ طِيـــبُ عَـــرْفِ الْعُـــودِ
لَـــوْلَا التَّخَـــوُّفُ لِلْعَوَاقِـــبِ لَمْ يَـــزَلْ لِلْحَاسِـــدِ النُّعْمَـــى عَـــلَى الْمَحْسُـــودِ

وقال البحتري:

ولَـــنْ تَسْـــتَبِينَ الـــدهرَ مَوْضِـــعَ نِعْمَـــةٍ إذَا أنْـــتَ لم تُـــدْلَلْ عليهـــا بحَاسِـــدِ

وقال ابن الرومي لصاعد بن مَخْلَد:

وضــــدّ لكــــم لا زَال يَسْــــفُل جَــــده ... ولا برحَــــــتْ أنفاســــــه تتصَــــــعَدُ

يَــــرَى زِبْـــرِجَ الــــدنيا يُـــزَف إلـــيكم ... ويُـــغْضِي عـــن اســـتحقاقكم فهـــو يُفَـــأَدُ

ولـــو قـــاس باســـتحقاقكم مـــا مُنِحْـــتُمُ ... لأَطْفَــــأَ نــــاراً في الْحَشــــا تتوَقَــــدُ

وآنـــقُ مـــن عِقْـــدِ العقيلـــةِ جيـــدُها ... وأحســـــنُ مـــــن سِرباهلـــــا المتجَـــــرَدُ

وقال معن بن زائدة :

إني حُسِــــدْتُ فــــزادَ اللهّ في حَســــدِي ... لا عـــاشَ مَـــنْ عـــاش يومـــاً غَـــيْرَ محســـودِ

مـــا يُحْسَـــدُ المـــرءُ إلا مِـــنْ فضـــائلهِ ... بـــالعلم والظـــرْفِ، أو بالبَـــأسِ والجُـــودِ

وقيل :

إنَّ الْحَسُــــــودَ الظَّلُــــــومَ فِي كَــــــرْبٍ ... يَخَالُــــــهُ مَــــــنْ يَــــــرَاهُ مَظْلُومَــــــا

ذَا نَفَـــــسٍ دَائِـــــمٍ عَـــــلَى نَفَـــــسٍ ... يُظْهِـــــرُ مِنْهَـــــا مَـــــا كَـــــانَ مَكْتُومَـــــا

انظر " روضة العقلاء" (1 / 130 – وما بعدها) "لباب الآداب" (1 / 193 – وما بعدها) و"أدب الدنيا والدين".

****

[أسباب الحسد]

وأسباب الحسد ودواعيه كثيرة:

فمنها ما ذكرها الإمام الماوردي رحمه الله في كتابه "أدب الدنيا والدين" حيث قال: (وَاعْلَمْ أَنَّ دَوَاعِيَ الْحَسَدِ ثَلَاثَةٌ:

أَحَدُها : بُغْضُ الْمَحْسُودِ فَيَأْسَى عَلَيْهِ بِفَضِيلَةٍ تَظْهَرُ، أَوْ مَنْقَبَةٍ تُشْكَرُ، فَيُثِيرُ حَسَدًا قَدْ خَامَرَ بُغْضًا.

وَهَذَا النَّوْعُ لَا يَكُونُ عَامًّا وَإِنْ كَانَ أَضَرَّهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ يُبْغِضُ كُلَّ النَّاسِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَظْهَرَ مِنْ الْمَحْسُودِ فَضْلٌ يَعْجِزُ عَنْهُ فَيَكْرَهُ تَقَدُّمَهُ فِيهِ وَاخْتِصَاصَهُ بِهِ، فَيُثِيرُ ذَلِكَ حَسَدًا لَوْلَاهُ لَكَفَّ عَنْهُ.

وَهَذَا أَوْسَطُهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْسُدُ الْأَكْفَاءُ مَنْ دَنَا، وَإِنَّمَا يَخْتَصُّ بِحَسَدِ مَنْ عَلَا.

وَقَدْ يَمْتَزِجُ بِهَذَا النَّوْعِ ضَرْبٌ مِنْ الْمُنَافَسَةِ وَلَكِنَّهَا مَعَ عَجْزٍ فَلِذَلِكَ صَارَتْ حَسَدًا.

وَالثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ فِي الْحَاسِدِ شُحٌّ بِالْفَضَائِلِ، وَبُخْلٌ بِالنِّعَمِ، وَلَيْسَتْ إلَيْهِ فَيَمْنَعُ مِنْهَا، وَلَا بِيَدِهِ فَيَدْفَعُ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا مَوَاهِبُ قَدْ مَنَحَهَا اللَّهُ مَنْ شَاءَ فَيَسْخَطُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَضَائِهِ، وَيَحْسُدُ عَلَى مَا مَنَحَ مِنْ عَطَائِهِ، وَإِنْ كَانَتْ نِعَمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ أَكْثَرَ، وَمِنَحُهُ عَلَيْهِ أَظْهَرَ.

وَهَذَا النَّوْعُ مِنْ الْحَسَدِ أَعَمُّهَا وَأَخْبَثُهَا إذْ لَيْسَ لِصَاحِبِهِ رَاحَةٌ، وَلَا لِرِضَاهُ غَايَةٌ، فَإِنْ اقْتَرَنَ بِشَرٍّ وَقُدْرَةٍ كَانَ بُورًا وَانْتِقَامًا، وَإِنْ صَادَفَ عَجْزًا وَمَهَانَةً كَانَ كَمَدًا وَسَقَامًا.

وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ: الْحَسُودُ مِنْ الْهَمِّ كَسَاقِي السُّمِّ، فَإِنْ سَرَى سُمُّهُ زَالَ عَنْهُ غَمُّهُ).اهـ

******

[أضرار الحسد]

واعلم أن أضرار الحسد كثيرة وعواقبه وخيمة:

فمنها ما ذكره الإمام الماوردي في "أدب الدنيا والدين" فقال: (وَإِنْ صَدَّتْهُ الشَّهْوَةُ عَنْ مَرَاشِدِهِ، وَأَضَلَّهُ الْحِرْمَانُ عَنْ مَقَاصِدِهِ، فَانْقَادَ لِلطَّبْعِ اللَّئِيمِ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْخُلُقُ الذَّمِيمِ، حَتَّى ظَهَرَ حَسَدُهُ وَاشْتَدَّ كَمَدُهُ، فَقَدْ بَاءَ بِأَرْبَعِ مَذَامَّ:

إحْدَاهُنَّ : حَسَرَاتُ الْحَسَدِ وَسَقَامُ الْجَسَدِ، ثُمَّ لَا يَجِدُ لِحَسْرَتِهِ انْتِهَاءً، وَلَا يُؤَمِّلُ لِسَقَامِهِ شِفَاءً.

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْحَسَدُ دَاءُ الْجَسَدِ.

وَالثَّانِيَةُ : انْخِفَاضُ الْمَنْزِلَةِ وَانْحِطَاطُ الْمَرْتَبَةِ لِانْحِرَافِ النَّاسِ عَنْهُ، وَنُفُورِهِمْ مِنْهُ وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: الْحَسُودُ لَا يَسُودُ.

وَالثَّالِثَةُ: مَقْتُ النَّاسِ لَهُ حَتَّى لَا يَجِدَ فِيهِمْ مُحِبًّا، وَعَدَاوَتُهُمْ لَهُ حَتَّى لَا يَرَى فِيهِمْ وَلِيًّا، فَيَصِيرُ بِالْعَدَاوَةِ مَأْثُورًا، وَبِالْمَقْتِ مَزْجُورًا.

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { شَرُّ النَّاسِ مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ } .[منكر "الضعيفة"(7135)] و["نصب الراية"(3 / 63)].

وَالرَّابِعَةُ: إسْخَاطُ اللَّهِ تَعَالَى فِي مُعَارَضَتِهِ، وَاجْتِنَاءُ الْأَوْزَارِ فِي مُخَالَفَتِهِ، إذْ لَيْسَ يَرَى قَضَاءَ اللَّهِ عَدْلًا، وَلَا لِنِعَمِهِ مِنْ النَّاسِ أَهْلًا.

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ } .["الضعيفة" (1902)].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ : الْحَاسِدُ مُغْتَاظٌ عَلَى مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، بَخِيلٌ بِمَا لَا يَمْلِكُهُ، طَالِبُ مَا لَا يَجِدُهُ.

وَإِذَا بُلِيَ الْإِنْسَانُ بِمَنْ هَذِهِ حَالُهُ مِنْ حُسَّادِ النِّعَمِ وَأَعْدَاءِ الْفَضْلِ اسْتَعَاذَ بِاَللَّهِ مِنْ شَرِّهِ، وَتَوَقَّى مَصَارِعَ كَيْدِهِ، وَتَحَرَّزَ مِنْ غَوَائِلِ حَسَدِهِ، وَأَبْعَدَ عَنْ مُلَابَسَتِهِ.

وَإِدْنَائِهِ لِعَضْلِ دَائِهِ، وَإِعْوَازِ دَوَائِهِ.

فَقَدْ قِيلَ : حَاسِدُ النِّعْمَةِ لَا يُرْضِيهِ إلَّا زَوَالُهَا.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ ضَرَّ بِطَبْعِهِ فَلَا تَأْنَسْ بِقُرْبِهِ، فَإِنَّ قَلْبَ الْأَعْيَانِ صَعْبُ الْمَرَامِ.

وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : أَسَدٌ تُقَارِبُهُ خَيْرٌ مِنْ حَسُودٍ تُرَاقِبُهُ.

وَقَالَ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ : أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَى إلَّا الْحَسُودَ فَإِنَّهُ أَعْيَانِي مَا إنَّ لِي ذَنْبًا إلَيْهِ عَلِمْتُهُ إلَّا تَظَاهَرَ نِعْمَةَ الرَّحْمَنِ وَأَبَى فَمَا يُرْضِيهِ إلَّا ذِلَّتِي وَذَهَابُ أَمْوَالِي وَقَطْعُ لِسَانِي وَقَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : { ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْهُنَّ : الطِّيَرَةُ وَسُوءُ الظَّنِّ، وَالْحَسَدُ.

فَإِذَا تَطَيَّرْت فَلَا تَرْجِعْ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تَتَحَقَّقْ، وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ } .["ضعيف الجامع"(2527)]). اهـ

وقال الإمام السفاريني في "غذاء الألباب شرح منظومة الآداب" (2 / 222): (أَمَّا ضَرَرُهُ فِي الدِّينِ فَإِنَّ الْحَاسِدَ قَدْ سَخِطَ قَضَاءَ اللَّهِ – تَعَالَى – فَكَرِهَ نِعْمَتَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَهَذَا قَذًى فِي بَصَرِ الْإِيمَانِ، وَيَكْفِيهِ أَنَّهُ شَارَكَ إبْلِيسَ فِي الْحَسَدِ وَفَارَقَ الْأَنْبِيَاءَ فِي حُبِّهِمْ الْخَيْرَ لِكُلِّ أَحَدٍ. ثُمَّ إنَّ الْحَسَدَ يَحْمِلُ عَلَى إطْلَاقِ اللِّسَانِ فِي الْمَحْسُودِ بِالشَّتْمِ وَالتَّحَيُّلِ عَلَى أَذَاهُ.

وَأَمَّا ضَرَرُهُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ الْحَاسِدَ يَتَأَلَّمُ وَلَا يَزَالُ فِي كَمَدٍ. وَأَنْشَدُوا :

دَعْ الْحَسُودَ وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ كَمَدِهِ ... كَفَاك مِنْهُ لَهِيبُ النَّارِ فِي جَسَدِهْ
إنْ لُمْت ذَا حَسَدٍ نَفَّسْت كُرْبَتَهُ ... وَإِنْ سَكَتَّ فَقَدْ عَذَّبْته بِيَدِهْ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: سَمِعْت أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : مَا رَأَيْت ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنْ الْحَاسِدِ حُزْنٌ لَازِمٌ، وَنَفْسٌ دَائِمٌ، وَعَقْلٌ هَائِمٌ، وَحَسْرَةٌ لَا تَنْقَضِي).اهـ

****

[علاج الحسد]

ومن علاج الحسد:

ما ذكره الإمام الماوردي رحمه الله في "أدب الدنيا والدين" فقال: (فَأَمَّا مَا يَسْتَعْمِلُهُ مَنْ كَانَ غَالِبًا عَلَيْهِ الْحَسَدُ، وَكَانَ طَبْعُهُ إلَيْهِ مَائِلًا لِيَنْفِيَ عَنْهُ وَيُكْفَاهُ وَيَسْلَمُ مِنْ ضَرَرِهِ وَعَدَاوَتِهِ، فَأُمُورٌ هِيَ لَهُ حَسْمٌ إنْ صَادَفَهَا عَزْمٌ.

فَمِنْهَا: اتِّبَاعُ الدِّينِ فِي اجْتِنَابِهِ، وَالرُّجُوعِ إلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي آدَابِهِ، فَيَقْهَرُ نَفْسَهُ عَلَى مَذْمُومِ خُلُقِهَا، وَيَنْقُلُهَا عَنْ لَئِيمِ طَبْعِهَا.

وَإِنْ كَانَ نَقْلُ الطِّبَاعِ عَسِرًا لَك بِالرِّيَاضَةِ وَالتَّدْرِيجِ يَسْهُلُ مِنْهَا مَا اُسْتُصْعِبَ، وَيُحَبَّبُ مِنْهَا مَا أَتْعَبَ وَإِنْ تَقَدَّمَ قَـوْلُ الْقَائِـلِ: مَنْ رَبُّهُ خَلَقَهُ كَيْفَ يُخَلِّي خَلْقَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ إذَا عَانَى تَهْذِيبَ نَفْسِهِ تَظَاهَرَ بِالتَّخَلُّقِ دُونَ الْخُلُقِ، ثُمَّ بِالْعَادَةِ يَصِيرُ كَالْخُلُقِ.

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ:

فَلَـمْ أَجِـدِ الْأَخْـلَاقَ إلَّا تَخَلُّقًـا ... وَلَمْ أَجِـدِ الْأَفْضَـالَ إلَّا تَفَضُّـلَا

وَمِنْهَا: الْعَقْلُ الَّذِي يَسْتَقْبِحُ بِهِ مِنْ نَتَائِجِ الْحَسَدِ مَا لَا يُرْضِيهِ، وَيَسْتَنْكِفُ مِنْ هُجْنَةِ مُسَاوِيهِ، فَيُذَلِّلُ نَفْسَهُ أَنَفَةً، وَيَقْهَرُهَا حَمِيَّةً، فَتُذْعِنُ لِرُشْدِهَا، وَتُجِيبُ إلَى صَلَاحِهَا.

وَهَذَا إنَّمَا يَصِحُّ لِذِي النَّفْسِ الْأَبِيَّةِ، وَالْهِمَّةِ الْعَلِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذُو الْهِمَّةِ يَجِلُّ عَنْ دَنَاءَةِ الْحَسَدِ.

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

أَبِيٌّ لَـهُ نَفْسَـانِ نَفْـسٌ زَكِيَّـةٌ ... وَنَفْـسٌ إذَا مَـا خَافَـتْ الظُّلْـمَ تُشْـمِسُ

وَمِنْهَا: أَنْ يَسْتَدْفِعَ ضَرَرَهُ، وَيَتَوَقَّى أَثَرَهُ، وَيَعْلَمَ أَنَّ مَكَانَتَهُ فِي نَفْسِهِ أَبْلَغُ وَمِنْ الْحَسَدِ أَبْعَدُ، فَيَسْتَعْمِلُ الْحَزْمَ فِي دَفْعِ مَا كَدَّهُ وَأَكْمَدَهُ لِيَكُونَ أَطْيَبَ نَفْسًا وَأَهْنَأَ عَيْشًا.

وَقَدْ قِيلَ: الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ.

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

بَصِـيرٌ بِأَعْقَـابِ الْأُمُـورِ كَـأَنَّمَا ... يَـرَى بِصَـوَابِ الـرَّأْيِ مَـا هُـوَ وَاقِـعُ

وَمِنْهَا : مَا يَرَى مِنْ نُفُورِ النَّاسِ عَنْهُ وَبُعْدِهِمْ مِنْهُ فَيَخَافُهُمْ إِمَّا عَلَى نَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةٍ، أَوْ عَلَى عِرْضِهِ مِنْ مَلَامَةٍ، فَيَتَأَلَّفُهُمْ بِمُعَالَجَةِ نَفْسِهِ وَيَرَاهُمْ إِنْ صَلَحُوا أَجْدَى نَفْعًا وَأَخْلَصَ وُدًّا.

وَقَالَ ابْنُ الْعَمِيدِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : دَاوِي جَوًى بِجَوًى وَلَيْسَ بِحَازِمٍ مَنْ يَسْتَكِفُّ النَّارَ بِالْحَلْفَاءِ.

وَقَالَ الْمُؤَمَّلُ بْنُ أُمَيْلٍ :

لَا تَحْسَبُونِي غَنِيًّا عَنْ مَوَدَّتِكُمْ ... إِنِّي إِلَيْكُمْ وَإِنْ أَيْسَرْتُ مُفْتَقِرُ

وَمِنْهَا : أَنْ يُسَاعِدَ الْقَضَاءَ وَيَسْتَسْلِمَ لِلْمَقْدُورِ، وَلَا يَرَى أَنْ يُغَالِبَ قَضَاءَ اللهِ فَيَرْجِعُ مَغْلُوبًا، وَلَا أَنْ يُعَارِضَهُ فِي أَمْرِهِ فَيَرُدُّ مَحْرُومًا مَسْلُوبًا.

وَقَدْ قَالَ أَزْدَشِيرُ بْنُ بَابَكَ : إِذَا لَمْ يُسَاعِدْنَا الْقَضَاءُ سَاعَدْنَاهُ.

وَقَالَ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ : قَدْرُ اللهِ كَائِنٌ حِينَ يَقْضِي وُرُودُهُ قَدْ مَضَى فِيك عِلْمُهُ وَانْتَهَى مَا يُرِيدُهُ فَأَرِدْ مَا يَكُونُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُهُ فَإِنْ أَظْفَرَتْهُ السَّعَادَةُ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، وَهَدَتْهُ الْمَرَاشِدُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الصَّوَابِ، سَلِمَ مِنْ سَقَامِهِ، وَخَلُصَ مِنْ غَرَامِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالنَّقْصِ فَضْلًا وَاعْتَاضَ مِنْ الذَّمِّ حَمْدًا.

وَلَمَنْ اسْتَنْزَلَ نَفْسَهُ عَنْ مَذَمَّةٍ فَصَرَفَهَا عَنْ لَائِمَةٍ هُوَ أَظْهَرُ حَزْمًا وَأَقْوَى عَزْمًا مِمَّنْ كَفَتْهُ النَّفْسُ جِهَادَهَا، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا.

وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفَتَّنٍ تَوَّابٍ).اهـ

وقال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "الفتاوى" (10 / 125):(فَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا لِغَيْرِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَعَهُ التَّقْوَى وَالصَّبْرَ. فَيَكْرَهُ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ دِينٌ لَا يَعْتَدُونَ عَلَى الْمَحْسُودِ فَلَا يُعِينُونَ مَنْ ظَلَمَهُ وَلَكِنَّهُمْ أَيْضًا لَا يَقُومُونَ بِمَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ بَلْ إذَا ذَمَّهُ أَحَدٌ لَمْ يُوَافِقُوهُ عَلَى ذَمِّهِ وَلَا يَذْكُرُونَ مَحَامِدَهُ وَكَذَلِكَ لَوْ مَدَحَهُ أَحَدٌ لَسَكَتُوا وَهَؤُلَاءِ مَدِينُونَ فِي تَرْكِ الْمَأْمُورِ فِي حَقِّهِ مُفَرِّطُونَ فِي ذَلِكَ ؛ لَا مُعْتَدُونَ عَلَيْهِ وَجَزَاؤُهُمْ أَنَّهُمْ يُبْخَسُونَ حُقُوقَهُمْ فَلَا يُنْصَفُونَ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ وَلَا يُنْصَرُونَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُمْ كَمَا لَمْ يَنْصُرُوا هَذَا الْمَحْسُودَ وَأَمَّا مَنْ اعْتَدَى بِقَوْلِ أَوْ فِعْلٍ فَذَلِكَ يُعَاقَبُ).اهـ

وقال الإمام النووي رحمه الله في "التبيان في آداب حملة القرآن":(وطريقه في نفي الحسد أن يعلم أن حكمة الله تعالى اقتضت جعل هذه الفضيلة في هذا فينبغي أن لا يعترض عليها ولا يكره حكمة أرادها الله تعالى ولم يكرهها).

وقال الإمام ابن حبان رحمه الله في "نزهة الفضلاء" (1 / 135): (لا يوجد من الحسود أمان أحرز من البعد منه لأنه ما دام مشرفا على ما خصصت به دونه لم يزده ذلك إلا وحشه وسوء ظن بالله ونماء للحسد فيه، فالعاقل يكون على إماتة الحسد بما قدر عليه أحرص منه على تربيته ولا يجد لإماتته دواء أنفع من البعاد فإن الحاسد ليس يحسدك على عيب فيك ولا على خيانة ظهرت منك ولكن يحسدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء كما قال العتبي:

أفكر ما ذنبي إليك فلا أرى لنفسي جرماً غير أنك حاسد

.اهـ

وقال الإمام السفاريني في "غذاء الألباب" (2 / 222): (فَإِنْ قِيلَ : قَدْ ذَكَرْت مِنْ صَرِيحِ الْآثَارِ، وَصَحِيحِ الْأَخْبَارِ، مَا يُنَفِّرُ عَنْ الْحَسَدِ وَيُبْعِدُ عَنْهُ كُلَّ أَحَدٍ، لَكِنَّ الْحَسَدَ مَرَضٌ بَاطِنِيٌّ، فَكَيْفَ السَّبِيلُ إلَى زَوَالِهِ ؟

فَالْجَوَابُ : أَنَّ الْآدَمِيَّ قَدْ جُبِلَ عَلَى حُبِّ الرِّفْعَةِ، فَلَا يُحِبُّ أَنْ يَعْلُوَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا، فَإِذَا عَلَا أَحَدٌ عَلَيْهِ شَقَّ عَلَيْهِ وَأَحَبَّ زَوَالَ مَا عَلَا بِهِ. وَمُعَالَجَةُ ذَلِكَ تَارَةً بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّهَا لَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، فَلَا وَجْهَ لِلْمُنَافَسَةِ فِيهَا عِنْدَ الْعُقَلَاءِ، وَتَارَةً بِالرِّضَا بِالْقَضَاءِ، فَإِنَّك إنْ لَمْ تَرْضَ لَمْ تَحْصُلْ إلَّا عَلَى النَّدَمِ وَفَوَاتِ الثَّوَابِ، وَغَضَبِ رَبِّ الْأَرْبَابِ، فَهُمَا مُصِيبَتَانِ أَوْ أَكْثَرُ، وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ الْقَضَاءِ فَعَلَيْهِ بِالرِّضَا. وَلِذَا قُلْت : مَا لِي عَلَى مُرِّ الْقَضَا مِنْ حِيلَةٍ غَيْرِ الرِّضَا أَنَا فِي الْهَوَى عَبْدٌ وَمَا لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَعَرَّضَا وَتَارَةً فِي النَّظَرِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتِلْكَ النِّعَمِ مِنْ الْآفَاتِ، فَإِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِمُقْتَضَى مَا فِي النَّفْسِ، وَلَمْ يَنْطِقْ لَمْ يَضُرَّهُ مَا وُضِعَ فِي الطَّبْعِ. وَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ(ثَلَاثَةٌ لَا يَنْجُو مِنْهُنَّ أَحَدٌ : الظَّنُّ، وَالطِّيَرَةُ، وَالْحَسَدُ وَسَأُحَدِّثُك بِالْمَخْرَجِ مِنْ ذَلِكَ : إذَا ظَنَنْت فَلَا تُحَقِّقْ، وَإِذَا حَسَدْت فَلَا تَبْغِ، وَإِذَا تَطَيَّرْت فَلَا تَرْجِعْ } .["ضعيف الجامع" (2527)]. أَيْ امْضِ لِمَا قَصَدْت لَهُ وَلَا تَصُدَّنَّك عَنْهُ الطِّيَرَةُ. فَالْحَسَدُ أَوَّلًا يَضُرُّ الْحَاسِدَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلَا يَسْتَضِرُّ بِذَلِكَ الْمَحْسُودُ، فَلَا تُؤْذِ نَفْسَك).اهـ

وقال رحمه الله في "المصدر السابق": (فَإِنْ قِيلَ : هَلْ لِلْحَاسِدِ دَوَاءٌ ؟ فَالْجَوَابُ : قَلَّ أَنْ يَنْجَعَ فِيهِ دَوَاءٌ لِأَنَّهُ جَهُولٌ ظَلُومٌ وَلَيْسَ يُشْفِي عِلَّةَ صَدْرِهِ وَيُزِيلُ حَزَّازَةَ الْحَسَدِ مِنْ قَلْبِهِ إلَّا زَوَالُ النِّعْمَةِ، فَحِينَئِذٍ يَتَعَذَّرُ الدَّوَاءُ أَوْ يَعِزُّ. وَمِنْ هَذَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ وَأَحْسَنُ :

وَكُلٌّ أُدَاوِيهِ عَلَى قَدْرِ دَائِهِ سِوَى حَاسِدِي فَهِيَ الَّتِي لَا أَنَالُهَا

وَكَيْفَ يُدَاوِي الْمَرْءُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ إِذَا كَانَ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا

نَعَمْ إِنْ كَانَ الْحَاسِدُ ذَا فَهْمٍ فَدَوَاؤُهُ أَنْ يَقْمَعَ أَسْبَابَ الْحَسَدِ مِنْ الْبَاطِنِ، فَإِنَّ سَبَبَهَا فِي الْغَالِبِ الْكِبْرُ وَعِزَّةُ النَّفْسِ، ثُمَّ يَتَكَلَّفُ مَدْحَ الْمَحْسُودِ وَالتَّوَاضُعَ لَهُ وَالْهَدِيَّةَ إِلَيْهِ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّك إِنَّمَا تَحْسُدُ إِخْوَانَك عَلَى الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا، وَأَمَّا قَوَّامُ اللَّيْلِ وَصَوَّامُ النَّهَارِ فَلَا أَرَاك تَحْسُدُهُمْ. فَبِاَللَّهِ عَلَيْك اعْرِفْ قَدْرَ الدُّنْيَا وَاعْلَمْ أَنَّهَا هُمُومٌ مُتَرَاكِمَةٌ، وَغُمُومٌ مُتَلَاطِمَةٌ، وَحِسَابٌ وَعَذَابٌ، وَهِيَ خِرَقٌ وَتُرَابٌ، وَصُوَرٌ وَخَرَابٌ. فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ نَفْسَهُ، وَعَرَفَ الدُّنْيَا وَعَمِلَ عَلَى مُقْتَضَى كُلٍّ بِحَسَبِهِ. وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمَسْئُولُ، أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِنَا مِنْ النُّورِ. مَا يَزُولُ بِهِ الدَّيْجُورِ، وَنُشَاهِدُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ، عَلَى حَسَبِ مَا يُرْضِي الْغَفُورَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، رَءُوفٌ رَحِيمٌ).اهـ

وقال الإمام ابن باز رحمه الله في "فتاوى نور على الدرب"(1 / 131-132): (إذا أحسستِ بشيء فجاهدي نفسك، واكظمي ما عندك، ولا تفعلي شيئا يخالف الشرع، لا تؤذي المحسودة أو المحسود، لا بقول ولا بفعل، واسألي الله أن يزيله من قلبك ولا يضرك، فالإنسان إذا حسد ولم يحقق شيئا لم يضره ذلك إذا كان لم يفعل، لا أذى للمحسود ولا إزالة لنعمة عنه، ولا تكلما في عرضه، وإنما شيء في نفسه كظمه، فإنه لا يضره، ولكن عليه الحذر، حتى لا يقول شيئا يضر المحسود أو يفعل شيئا يضره، وقد روي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » فالحسد خبيث، ولكنه يبدأ بصاحبه، يؤذي صاحبه قبل غيره، فينبغي للمؤمن والمؤمنة أن يحذرا ذلك مع سؤال الله العافية، المؤمن يضرع إلى الله، وهكذا المؤمنة تضرع إلى الله أن يزيل ذلك من قلبها، حتى لا يبقى في قلبها شيء، ومتى أحست بشيء فلتجاهد في كظمه وإبقائه في القلب من دون أذى للمحسود، لا أذى فعلي ولا قولي، والله المستعان.اهـ

****

[الأسباب التي يندفع بها شر الحاسد عن المحسود – بإذن الله-]

ويندفع شر الحاسد عن المحسود – بإذن الله – بعشرة أسباب ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله وهي:

السبب الأول: التعوذ بالله تعالى من شره واللجوء والتحصن به واللجوء.

السبب الثاني: تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه.

السبب الثالث: الصبر على عدوه وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلا.

السبب الرابع: التوكل على الله.

السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه.

السبب السادس: الإقبال على الله والإخلاص له.

السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه.

السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد.

السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه.

السبب العاشر: وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم.

راجع شرح هذه الأسباب في "بدائع الفوائد"(2 / 463- وما بعدها).

****

وعوداً على بدء:

فاعلم أن العالِم كلما انتشرت دعوته أكثر حُسد أكثر قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (10 / 114-115): (وَالنُّفُوسُ لَا تَحْسُدُ مَنْ هُوَ فِي تَعَبٍ عَظِيمٍ فَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْهُ وَإِنْ كَانَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ الَّذِي يُنْفِقُ الْمَالَ ؛ بِخِلَافِ الْمُنْفِقِ وَالْمُعَلِّمِ فَإِنَّ هَذَيْنِ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْعَادَةِ عَدُوٌّ مِنْ خَارِجٍ فَإِنْ قُدِّرَ أَنَّهُمَا لَهُمَا عَدُوٌّ يُجَاهِدَانِهِ. فَذَلِكَ أَفْضَلُ لِدَرَجَتِهِمَا وَكَذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُصَلِّيَ وَالصَّائِمَ وَالْحَاجَّ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَعْمَالَ لَا يَحْصُلُ مِنْهَا فِي الْعَادَةِ مِنْ نَفْعِ النَّاسِ الَّذِي يُعَظِّمُونَ بِهِ الشَّخْصَ وَيُسَوِّدُونَهُ مَا يَحْصُلُ بِالتَّعْلِيمِ وَالْإِنْفَاقِ. وَالْحَسَدُ فِي الْأَصْلِ إنَّمَا يَقَعُ لِمَا يَحْصُلُ لِلْغَيْرِ مِنْ السُّؤْدُدِ وَالرِّيَاسَةِ وَإِلَّا فَالْعَامِلُ لَا يُحْسَدُ فِي الْعَادَةِ وَلَوْ كَانَ تَنَعُّمُهُ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنِّكَاحِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ بِخِلَافِ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ فَإِنَّهُمَا يُحْسَدَانِ كَثِيرًا وَلِهَذَا يُوجَدُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ مِنْ الْحَسَدِ مَا لَا يُوجَدُ فِيمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ وَكَذَلِكَ فِيمَنْ لَهُ أَتْبَاعٌ بِسَبَبِ إنْفَاقِ مَالِهِ فَهَذَا يَنْفَعُ النَّاسَ بِقُوتِ الْقُلُوبِ وَهَذَا يَنْفَعُهُمْ بِقُوتِ الْأَبْدَانِ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُحْتَاجُونَ إلَى مَا يُصْلِحُهُمْ مِنْ هَذَا وَهَذَا.)اهـ

وقال رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم":(وقد يبتلى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله لعلم نافع أو عمل صالح).اهـ

وقال الإمام الماوردي في "أدب الدنيا والدين": (وَاعْلَمْ أَنَّ بِحَسَبِ فَضْلِ الْإِنْسَانِ وَظُهُورِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ يَكُونُ حَسَدُ النَّاسِ لَهُ.

فَإِنْ كَثُرَ فَضْلُهُ كَثُرَ حُسَّادُهُ، وَإِنْ قَلَّ قَلُّوا ؛ لِأَنَّ ظُهُورَ الْفَضْلِ يُثِيرُ الْحَسَدَ، وَحُدُوثَ النِّعْمَةِ يُضَاعِفُ الْكَمَدَ.

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِسَتْرِهَا فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ } . ["الصحيحة" (1453)]

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا كَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إلَّا وَجَدَ لَهَا حَاسِدًا، فَلَوْ كَانَ الرَّجُلُ أَقْوَمَ مِنْ الْقَدْحِ لَمَا عَدِمَ غَامِزًا.

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

إنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنْ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ

وَرُبَّمَا كَانَ الْحَسَدُ مُنَبِّهًا عَلَى فَضْلِ الْمَحْسُودِ وَنَقْصِ الْحَسُودِ، كَمَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ يَزَلْ لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

****

وأيضاً يُحسد العالم إذا كان عاملاً بعلمه معلماً لغيره لذا قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (10 / 114):(فَإِنَّهُ نَهَى عَنْ الْحَسَدِ إلَّا فِيمَنْ أُوتِيَ الْعِلْمَ فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ وَيُعَلِّمُهُ وَمَنْ أُوتِيَ الْمَالَ فَهُوَ يُنْفِقُهُ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ عِلْمًا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ وَلَمْ يُعَلِّمْهُ أَوْ أُوتِيَ مَالًا وَلَمْ يُنْفِقْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَهَذَا لَا يُحْسُدُ وَلَا يَتَمَنَّى مِثْلَ حَالِهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي خَيْرٍ يَرْغَبُ فِيهِ بَلْ هُوَ مُعَرَّضٌ لِلْعَذَابِ).اهـ

وهذا الحسد- الذي بيّنا وعرفت حقيقته وكنهه وحكمه وأسبابه ومراتبه وأضراره وعلاجه- لا ينجوا منه حتى بعض من ينتسب إلى العلم فضلاً عن غيرهم - والعياذ بالله - كما قال شيخ الإسلام رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم":(وقد يبتلى

بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله لعلم نافع أو عمل صالح وهو خلق مذموم مطلقا وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم).اهـ

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله في "صيد الخاطر" (1 / 30): (تأملت التحاسد بين العلماء، فرأيت منشأه من حب الدنيا، فإن علماء الآخرة يتوادون، ولا يتحاسدون: كما قال عَزَّ وَجَلَّ: {وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا} "الحشر: 9"، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا}).اهـ

وقال عبد العزيز بن حازم رحمه الله كما في "جامع بيان العلم وفضله"(2 / 296): (سمعت أبي يقول: العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يزه عليه حتى كان هذا الزمان فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى يرى الناس أنه ليس به حاجة إليه، ولا يذاكر من هو مثله ويزهى على من هو دونه فهلك الناس).اهـ

واعلم أنه لا ينجوا من الحسد إلا القليل من الناس قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (10 /124-125):(وَالْمَقْصُودُ أَنَّ " الْحَسَدَ " مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ النَّفْسِ وَهُوَ مَرَضٌ غَالِبٌ فَلَا يَخْلُصُ مِنْهُ إلَّا قَلِيلٌ مِنْ النَّاسِ وَلِهَذَا يُقَالُ : مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ لَكِنَّ اللَّئِيمَ يُبْدِيهِ وَالْكَرِيمَ يُخْفِيهِ).اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد" (2 / 461): (وتأمل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله: (إذا حسد) لأن الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجه ما، لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده بل يجد في قلبه شيئا من ذلك ولا يعاجل أخاه إلا بما يحب الله فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه الله).اهـ

وقال الإمام ابن حبان رحمه الله في "روضة العقلاء"(1 / 136-137): (العاقل إذا خطر بباله ضرب من الحسد لأخيه أبلغ المجهود في كتمانه وترك إبداء ما خطر بباله.

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقران أو من تقارب الشكل؛ لأن الكتبة لا يحسدها إلا الكتبة، كما أن الحجبة لا يحسدها إلا الحجبة، ولن يبلغ المرء مرتبة من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها من يبغضه عليها أو يحسده فيها، والحاسد خصم معاند لا يجب للعاقل أن يجعله حكمًا عند نائبة تحدث؛ فإنه إن حكم لم يحكم إلا عليه، وإن قصد لم يقصد إلا له، وإن حرم لم يحرم إلا

حظه، وإن أعطى أعطى غيره، وإن قعد لم يقعد إلا عنه، وإن نهض لم ينهض إلا إليه، وليس للمحسود عنده ذنب إلا النعم التي عنده، فليحذر المرء ما وصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبني أعمامه).اهـ

إذا عرفت ما تقدم فلا غرو إذن أن يُحسد أمثال شيخنا – أعزه الله – لما حباه الله من المنزلة العلمية الرفيعة، والدعوة السلفية المرضية التي انتشرت في أرجاء المعمورة زاده الله توفيقاً وتسديداً.

قال الإمام الذهبي رحمه الله في "السير"(10 / 9): (وقلّ من برز في الإمامة، ورد على من خالفه إلا وعودي، نعوذ بالله من الهوى).اهـ

وقال الشاعر:

وفي السماء نجوم لا عداد لها ... وليس يخسف إلا الشمس والقمر

وقال آخر:

وشكوت من ظلم الوشاة ولم أجد ... ذا سؤدد إلا أصيب بحُسَّدِ

لا زلت يا سبط الكرام محسَّداً ... والتافه المسكين غير محسدِ

****

وبحمد الله وتوفيقه شيخنا حفظه الله غير مبالٍ بجعجعة هؤلاء الحساد بما لا طائل تحته، فهو مشغول بما هو أهم من ذلك، مشغول بشئون الدعوة وأمور علاجه – عافاه الله – وقد صرح ذلك بنفسه حفظه الله حيث قال في كلامه الأخير الذي نقله عنه الشيخ الثبت يوسف الجزائري : (ويعلم الله نحن مشغولون بما نحن فيه من أمور العلاج، وأمور الدعوة نهتم بها ليل نهار، وهم مهتمون بنا! يريدون الوقيعة فينا، والحمد لله ما شغلني لا هذا ولا غيره، يموتون بغيظهم، نحن أهلها بإذن الله). اهـ

وحاله كما قيل:

لو لم تكن لي في القلوب مهابة ... لم تُكثر الأعداء فيَّ وتقدح

كالليث لما هيب خط له الزبى ... وعوت لهيبته الكلاب النبّح

وكما قيل:

إن يحسدوني فإني لا ألومهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

أنا الذي وجدوني في صدورهم ... لا أرتقي صدرا منهم ولا أرد

وكما قيل:

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ ... فَالنَّاسُ أَضْدَادٌ لَهُ وَخُصُومُ

كَضَرَائِرِ الْحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجهِهَا ... حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهُ لَدَمِيمُ

وكما قيل:

أنت امرؤ قصرت عنه مروءته ... إلا من الغش للإخوان والحسد

أأن تراني خيرا منك تحسدني ... إن الفضيلة لا تخلو من الحسد

****

وما على شيخنا حفظه الله إلا الصبر والاحتساب تجاه ما يحصل له من الأذى من قِبل هؤلاء الحساد قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى"(10 / 121): (ثُمَّ هَذَا الْحَسَدُ إنْ عَمِلَ بِمُوجِبِهِ صَاحِبُهُ كَانَ ظَالِمًا مُعْتَدِيًا مُسْتَحِقًّا لِلْعُقُوبَةِ إلَّا أَنْ يَتُوبَ، وَكَانَ الْمَحْسُودُ مَظْلُومًا مَأْمُورًا بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَى الْحَاسِدِ وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ عَنْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ } وَقَدْ اُبْتُلِيَ يُوسُفُ بِحَسَدِ إخْوَتِهِ لَهُ حَيْثُ قَالُوا : { لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } فَحَسَدُوهُمَا عَلَى تَفْضِيلِ الْأَبِ لَهُمَا وَلِهَذَا قَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ : { لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ }).اهـ

وما أحسن قول القائل :

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسُودِ ... فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ

فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا ... إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

****

وهؤلاء الحساد كلما وجدوا طحلباً أو ما هو أوهى من بيت العنكبوت تمسكوا به علّه يكون لهم أمراً ينتقدون به على شيخنا حفظه الله، وإلا لو كان عند شيخنا أيده الله مخالفات أو أصول فاسدة كما يزعمون لصاح بها كبارهم قبل صغارهم، ولأقاموا الدنيا ولم يقعدوها، ولو كان عندهم حجج علمية وبراهين ساطعة قوية يدينون بها على شيخنا حفظه الله لطرحوها في بساط النقد ومائدة النقاش العلمي، ولكن لما كانوا مفلسي البضاعة!! فزعوا إلى ما هو (أوهى من الأعرج)!! و (أوهن من بيت العنكبوت)!!، وزجوا الميدان بأغيلمة سفهاء!! ومجاهيل عمياء جهلاء!! لا تُعرف أعيانهم فضلاً عن أحوالهم، ولكن هتك الله أستار المتسترين ، وخيب آمال المتربصين على يد شيخنا حفظه الله وطلابه السلفيين ، فبارت بحمد الله ومنته تلك الحملات البائسة والهجمات اليائسة، وأصبحت كالماضي الغابر والأمس الدابر.

وما أحسن قول القائل:

وما بال قوم لئام ليس عندهم عهد وليس لهم دين إذا ائتمنوا
إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا منا وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

****

وهؤلاء المرضى يكشرون عن أنياب العداوة في أوقات السلم والسلام والأمن والأمان على شيخنا حفظه الله وعلى طلابه ودعوته، وإذا جاء الخوف والقتل والقتال تراهم وراء الكواليس ترتعد فرائصهم خوفاً وفرقاً!! فإلى الله المشتكى من حالهم وما أحسن قول القائل:

جهلاً علينا وجبناً من عدوهم لبئست الخلتان الجهل والجبن

وقول الآخر:

أسد عليَّ وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزتَ إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

وقول الآخر:

أفي السلم أعياراً جفاءً وغلظة وفي الحرب أمثال النساء العوارك

****

ومن العجب الذي لا ينقضي أنه كلما خمدت نار الفتنة قليلاً، واستراح أهل السنة يسيراً، ترى هؤلاء المدبرين يحشون نارها!! ويسعرون لهيبها!!!، "وإثارة الشر بعد انخماده أو ضعفه مما جاءت الشريعة الغراء بالنهي عنه، والتحذير منه كما روى البخاري (5763) ومسلم (5667) عن عائشة رضي الله عنها في حديث سحر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقلت: يا رسول الله أفلا أحرقته؟، وفي لفظ البخاري: أفلا أخرجته؟ فقال:(أما أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً)".[٥]

ولكن كل هذه الحملات والهجمات ستفشل بإذن الله كما فشلت سابقتها، والحق منصور بنصر الله والباطل مدحور بإذن الله.

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في "النونية":

والحـــق منصـــور وممـــتحن فـــلا ... تعجـــب فهـــذي ســـنة الـــرحمن
وبـــذاك يظهـــر حزبـــه مـــن حزبـــه ... ولأجـــل ذاك النـــاس طائفتـــان
ولأجـــل ذاك الحـــرب بـــين الرســـل وال ... كفـــار مـــذ قـــام الـــورى ســـجلان
لكـــنما العقبـــى لأهـــل الحـــق إن ... فاتـــت هنـــا كانـــت لـــدى الـــديان

****

وكم بيّن شيخنا أيده الله وطلابه زيف افتراءات المفترين عليه، وبطلان كذب الكاذبين عليه، ولكـن أيـن المنصـف!! الـذي يقبل الحق من ذويه، ويأخذ النصح من باذليه!!! فإن الحسد إذا تمكن من القلوب أعماه عن الحقائق والبراهين، وقبول نصائح الناصحين كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "الفوائد": (والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها... وإذا انهدم ركن الحسد سهل عليه قبول النصح وبذله). اهـ

وقال رحمه الله في "هداية الحيارى"(1 / 16):(والأسباب المانعة من قبول الحـق كثـيرة جـدا فمنهـا...ومـن أعظـم هـذه الأسباب الحسد فإنه داء كامن في النفس ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتي ما لم يؤت نظيره فـلا يدعـه الحسـد أن ينقاد له ويكون من أتباعه وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد...إلخ).اهـ

---

[٥] "البرهان المنقول" (ص 1) للشيخ المجاهد سعيد بن دعاس رحمه الله.

وقال الإمام ابن باز رحمه الله في "مجموع فتاواه" (3 / 185): (ولكن الحسد والبغي وحب الرئاسة والتسلط على الأمة يمنع الكثير من الناس عن قبول الحق.).اهـ

****

وأخيراً:

فإن ما كتبته في هذه الأسطر القليلة والصفحات المطوية الكليلة ليس كافياً ولا وافياً في الموضوع، فإن الموضوع واسع الأطراف، متعدد الجوانب، متباعد الأكناف، لا تكفي مثل هذه الوريقات بسط القول فيه لذا اكتفينا بالعرض المجمل، والإشارة إلى ما يتضح به وجه الصواب، ونصيحتنا لهؤلاء الحساد أن يتقوا الله سبحانه وتعالى ويتركوا اقتحام العقاب وركوب الصعاب فإنها تضر ولا تسر، ولأن خيرها قليل وعودها ضئيل وفرعها كليل والله المسئول أن يهدينا إلى سواء السبيل، و يعيذنا من غوائل الحسد وطرائق الحقد وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

كتبه:

أبو محمد السَّعديّ

سعيد بن حسن الصوماليّ الإسحاقيّ

8 – جمادى الأولى – 1435هـ

مسجد الفاروق – إب